

الدعوة للطاعة

كُلُّ حِكْمَتِهِمْ ابْتُلِعَتْ

"أَمَرَ فَأَهَاجَ رِيحًا عَاصِفَةً فَرَفَعَتْ أَمْوَاجَهُ. يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، يَهْبِطُونَ إِلَى الْأَعْمَاقِ. ذَابَتْ أَنْفُسُهُمْ بِالشَّقَاءِ. يَتَمَائِلُونَ وَيَتَرَنَّحُونَ مِثْلَ السَّكْرَانِ، وَكُلُّ حِكْمَتِهِمْ ابْتُلِعَتْ" (مزمو ١٠٧: ٢٥-٢٧).

هل سبق لك أن وصلت إلى نهاية الألم؟ هل سبق لك أن وصلت إلى مرحلة في حياتك لا ترى فيها مهربًا من مشاكلك؟ هل سبق لك أن كنت في مكان حيث اجتاحتك موجة بعد موجة من المشاكل، مما أدى بك إلى الإرهاق الجسدي والعقلي والروحي؟ هل حاولت إخراج نفسك من المشاكل ولكن دون جدوى؟ هل ربما تتجرف الآن بشكل يائس وبلا هدف في بحر غير مستقر من اليأس؟

تشجع يا صديقي. لقد كان ملايين الناس في مثل هذا البحر قبلك، الذين خلصوا والخطة على السواء، وقد عاشوا ليقولوا مثل داود: "فَيَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فِي ضَيْقِهِمْ، وَمِنْ شِدَائِدِهِمْ يُخَلِّصُهُمْ" (مزمو ١٠٧: ٢٨).

بنعمة الله تنجو. إن تاريخ بني إسرائيل وكنيسة الرب يسوع المسيح هو تاريخ النجاة من منتهى الألم. هل يمكنك أن تحصي المرات الكثيرة في العهدين القديم والجديد عندما كان إسرائيل والرسول في منتهى الألم؟ إن لم تكن قد وصلت إلى منتهى الألم أبدًا، فابتهج بهذه التجربة التي قد تجعلك تنضم إلى شركة الملتمزين. لأن لديك مزيد من خبرات منتهى الألم، فستتعلم كيف تأخذها خطوة بخطوة.

إن "مدينة منتهى الألم" مكان من تصميم الله يتطلب ثقة كاملة. لا بد ألا تخاف من دخول هذه المدينة لأنها لا غنى عنها لبناء الشخصية، ولتنقية الروح، وللتخلص من كل الارتباطات غير الضرورية والشريرة. ستذيب الشوائب التي استقرت في روحك، وتجعلك شاهدًا أفضل للمسيح وتلهب النيران التي كانت لديك ذات يوم. ستحترق كل ارتباطاتك الدنيوية بنار الروح القدس. عند منتهى الألم ستضطر إلى أن تجلس وترتاح وتسجد عند قدمي الرب يسوع المثقوبتين بالمسامير، وسيرفع عنك كل أثقال روحك ويروي عطش روحك الزائد. إنه لا يريدك أن تنتشت بما في العالم من ثرثرة واضطراب وضجيج. يريد الرب يسوع لك أن تكون عند قدميه حيث تكون أنت وهو فقط، ولا شيء آخر. فهو يريد أن يعلمك ما ينبغي أن تتمسك به وما يلزم أن تتخلى عنه. سيعيدك إلى الأساسيات. إننا بغير وعي، نهرب بسهولة من العمل مع الرب إلى العمل من أجل الرب، من الحرارة إلى الفتور. في مدينة الألم هذه نكتشف أن كل ما يهم هو الله، والله وحده. هنا نتغير من خدمة الله أيضًا إلى خدمة الله وحده ونعرف الفرق حقًا. في الواقع، هنا في نهاية مدينة الألم تصل رحلتنا مع الله في ملكوته إلى مستوى جديد.

صديقي، لا تحتقر مدينة منتهى الألم لأنها في الطريق إلى مدينة الله. ولا يوجد مكان أرقى، ولا أنبل، ولا أعظم، ولا أسمى، ولا أقدس من مدينة الألم. هنا يصعد الملائكة وينزلون، ويخدمونك في شركة مقدسة مع الله. بالطبع إذا كنت جديدًا في مدينة منتهى الألم، فقد يكون الأمر مخيفًا. قد تقول مع المرمن:

"لَأَنَّ أَيَّامِي قَدْ فَنَيْتُ فِي دُخَانٍ، وَعِظَامِي مِثْلُ وَقِيدٍ قَدْ نَبَسَتْ. مَلْفُوحٌ كَالْعُشْبِ وَيَابِسٌ قَلْبِي، حَتَّى سَهَوْتُ عَنْ أَكْلِ خُبْزِي. مِنْ صَوْتِ تَنْهَيْدِي لَصِقَ عَظْمِي بِلَحْمِي. أَشْبَهْتُ فَوْقَ الْبَرِّيَّةِ. صِرْتُ مِثْلَ بَوْمَةِ الْخَرْبِ. سَهَدْتُ وَصِرْتُ كَعُصْفُورٍ مُنْفَرِدٍ عَلَى السَّطْحِ" (مزمور ١٠٢: ٣-٧). أو قد تشعر بانفصال تام عن الله ، وتقول مع أيوب: "مَنْ يُعْطِينِي أَنْ أُجِدَّ" (أيوب ٢٣: ٣).

قد يكون التواجد في مدينة منتهى الألم غير مريح للغاية. يعتمد مقدار ما يهزك على عمق نظام جذورك. إن لم تصل جذورك إلى أعماق الينابيع الإلهية، فقد يكون الألم غامراً. فهنا تحصد ما زرعت طوال الوقت من إهمال في الصلاة وفي التأمل وفي قراءة كلمة الله؛ وعصيان في الشهادة، وانشغال تام بأمور الدنيا، ومحاولة المضي قدماً لتجعل بينك أكثر راحة وتعطي القليل جداً للرب. هنا ينبغي أن نتفق أخيراً مع كلمات ترنيمة مارتن لوثر: "الحصن العظيم هو إلها". دع الخيرات والأقارب تذهب، وهذه الحياة الفانية أيضاً: الجسد الذي قد يقتلونه: أما حقيقة الله فباقية، وملكوته إلى الأبد.

هنا في مدينة منتهى الألم نذهب معه حسب شروطه حيث نقول: "لن يحكمنا هذا الإنسان"، ونبدأ طريق الهلاك. لا يوجد لعب هنا. لا يوجد هنا مكان للتظاهر. هذا ليس مكاناً للمفاوضات، المطلوب هو الخضوع الكامل. لا شيء أقل من ذلك سيخرجنا من مدينة الألم.

الآن، يكفيننا ما عندنا من فكر لاهوتي. ولنكن عمليين. ولننتقل إلى: "ما ينبغي أن نفعله بعد ذلك؟" عندما ألقى بطرس عظته في يوم الخمسين، تساءل الناس: "مَآذَا نَصْنَعُ؟" (أعمال ٢: ٣٧). لذلك كانت النصيحة الأولى لشعب الله في يوم ميلاد الكنيسة هي: **ثُوبُوا!** لم يكن اقتراحاً، بل دعوة من الله. يا صديقي، هذا هو أول شيء ينبغي عليك فعله: الطهارة والنقاء وتغيير المسار. بعد ذلك، لا بد أن تقوم بالتعويض كما فعل زكا. ثم ينبغي أن تضيف الصلاة إلى ذلك، وتضيف الصوم أيضاً. لقد سمعت هذه الأمور مني سابقاً، لكن اليوم أريد أن أقترح أداة قوية إضافية: **ابدأ بترتيل التسابيح**. هذا بالحقيقة ما فعله المسيحيون الأوائل بعد التوبة والصلاة: بدأوا يسبحون الرب. لا تتوقف عن ترديد ترنيمة. واصل التسبيح ولا تتوقف. **سبح طوال الطريق إلى السماء.**

لكن سبح بشكل خاص من كل القلب، نعم حتى في الظلام. لا بد أن تتذكر أن الغيوم المظلمة فوقك تخفي الشمس للحظة، وهي مليئة بماء الحياة الذي بدونه لا يمكنك النمو. حقاً، إنه في الظلام تصبح أنغامك أحلى وترنيمتك أكثر إلهاماً. ليس لدينا مثال أفضل في هذا من مثال ربنا يسوع. في نهاية العشاء الرباني الأخير، خرج يهوذا في الظلام ليخون سيده. ومع ذلك، في أحلك ليلة ظلمة في تاريخ البشرية، دعا الرب يسوع إلى ترديد الترنيمة التقليدية لمثل هذه المناسبة (متى ٢٦: ٣٠). رفض الدخول في الشفقة. رفض الخوض في السلبيات. لا شيء جيد يأتي من الروح السلبية. من روح التسبيح في تلك الليلة المظلمة خرج اثنان من أروع الأحاديث في الكتاب المقدس كله: حديث عن الكرمة والأغصان (يوحنا ١٥) وحديث عن الروح القدس (يوحنا ١٦). صديقي، ماذا تنتج في أحلك ساعاتك؟

ينبغي أن تتعلم التسبيح في الظلام، وتتصرف كأن الله لا يزال حياً فيك ويهتم بك؛ متذكراً أن الله عنده لك مخرج. **بالتأكيد يفعل ذلك.** هل تفهم؟ إن لم تسبح في مدينة منتهى الألم فهذا دليل على أن إيمانك ميت

وأن إلهك قد تركك. قال المبشر لوران هيلم: "التسبيح هو أنفاس الثقة؛ وحيث لا يوجد تسبيح تختنق الثقة حتى الموت". التسبيح والثقة في علاقة تكافلية. لا يمكن لأي منهما البقاء على قيد الحياة دون الآخر. فإن مات أحدهما يموت الآخر أيضًا.

لذلك، فإن التسبيح منطوقًا أو مرنمًا ليس اختيارًا، إنه شيء تفعله عندما تشعر به. إنه نظام ينبغي القيام به ولا يمكن التخلي عنه أبدًا. يمكن التعبير عن سفر المزامير بكلمة واحدة: التسبيح. السماء مليئة بالعبادة المبهجة. كان عدم التسبيح هو المشكلة الرئيسية لأصدقاء أيوب الثلاثة الذين جاءوا لتعزيته. نعم، لقد أتوا للتعزية، لكنهم زادوا من بؤس أيوب لأنهم فشلوا في تقديم التسبيح. احتاج أيوب إلى شاب كداود، الذي بالتسبيح أخرج الملك من الاكتئاب (صموئيل الأول ١٦: ٢٣). بالإضافة إلى ذلك، لدينا مثال بولس وسيلا (أعمال الرسل ١٦: ٢٥). وصلا إلى نهاية الأهم، ومع ذلك رددوا التسابيح في منتصف الليل.

أخيرًا، دعونا لا ننسى كيف خلص الله أممًا بأكملها من خلال التسبيح. خاض شعب إسرائيل ويهوذا حربًا ضد موآب (ملوك الثاني ٣). عندما كان بنو إسرائيل في نهاية الأمر لأنهم لم يتمكنوا من العثور على ماء دعا أليشع عازفًا للموسيقى (العود). وبينما كانوا يرددون التسبيح، أعطى الروح القدس إعلانًا لطريق الهروب، بحفر الخنادق. ملأ الله الخنادق بالماء وأنقذ جيش إسرائيل.

عندما كان بنو إسرائيل على وشك أن يهاجمهم حشد كبير يفوق العدد، كان يهوشافاط الملك خائفًا (أخبار الأيام الثاني ٢٠). اجتمع الشعب معًا للصوم والصلاة. قالوا: "وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ مَاذَا نَعْمَلُ وَلَكِنْ نَحْوَكْ أَعْيُنُنَا" (أخبار الأيام الثاني ٢٠: ١٢). أمرهم الله بمواجهة العدو بالتسبيح وحققوا نصرًا عظيمًا. عندما تكون في نهاية الألم ردد ترنيمة. كانت هذه علامة الانتصار في الكنيسة منذ الأزل. عندما نال المؤمنون الخلاص رتلوا ترنيمة. عندما مُنعوا من التبشير بالإنجيل، رتلوا ترنيمة. عندما تم سجنهم رتلوا ترنيمة. لذلك، يا صديقي، إن كنت في مدينة منتهى الألم، ردد ترنيمة ولن يمر وقت طويل حتى تجد طريقًا للهروب، أو إعلانًا، أو كلمة تعزية من السيد المسيح. في الواقع، لن يمر وقت طويل وستكون في طريقك إلى مدينة الفرح المقدس. يسكن الله في تسبيح بني إسرائيل. قم بالتسبيح، وأظهر التجاهل التام لمشاعرك، فقط اعمل ذلك.

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA